التقرير اليومي

2007/4/2

ترجمات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

حان وقت الإنفراج مع إيران (الجزء الأول)

بقلم راي تاكي؛ العلاقات الخارجية؛ آذار/ نيسان 2007

النجم الصاعد

بعد أكثر من خمس سنوات على تأكيد إدارة بوش على تحويل الشرق الأوسط، فإنّ المنطقة بالفعل مختلفة بشكل عميق. فكوارث واشنطن في العراق، إذلال القوة الإسرائيلية في لبنان، صعود الشيعة المهمشين سابقاً، وهيمنة الأحزاب الإسلامية، كلها أمور دفعت بالشرق الأوسط الى حافة الفوضى.

وفي وسط الفوضى، تقف الجمهورية الإسلامية الإيرانية. فنظامها لم يصمد فقط أمام الهجوم الأميركي العنيف، وإنما إستطاع أيضاً تعزيز نفوذ إيران في المنطقة. فإيران اليوم تقع في قلب مشاكل الشرق الأوسط الكبرى- من الحروب الأهلية التي تلف العراق ولبنان، الى التحدي الأمني في الخليج الفارسي- ومن الصعب تخيل حل أي من هذه المشاكل من دون تعاون طهران. وفي هذه الأثناء، كانت قوة طهران تتعزز بإستمرار بسبب برنامجها النووي الذي لم يتوقف تقدمه رغم الإحتجاجات المنتظمة الصادرة عن المجتمع الدولي.

وقد وضع هذا التطور الأخير الولايات المتّحدة في مأزق. فمنذ أن أطاحت الثورة بالشاه في العام 1979، كانت الولايات المتّحدة تواصل العمل على سلسلة سياسات غير متجانسة أو واضحة تجاه طهران. وقد حاولت الولايات المتّحدة، في مراحل مختلفة، الإطاحة بالنظام الإيراني- حتى أنها، بالمناسبة، هددت بعمل عسكري. كما عملت في مراحل أخرى، على محاصرة طهران للحد من نفوذها في المنطقة. لكن لم تنجح أياً من هذه المقاربات، خصوصا عدم الإحتواء، التي لا تزال إستراتيجية خيار في الجدل حول السياسة تجاه إيران.

وإذا ما كانت الولايات المتّحدة تأمل بتدجين إيران، فإنّ عليها أن تعيد التفكير بإستراتيجيتها من الأسفل الى الأعلى. فالجمهورية الإسلامية لن تزول في وقت قريب، كما أنّ نفوذها الإقليمي لا يمكن وضع حد له. فواشنطن يجب أن تتجنب الخيارات العسكرية الجذابة السطحية، وإمكانية إجراء محادثات مشروطة بالإضافة إلى سياستها بإحتواء إيران وذلك لصالح سياسة إنفراج جديدة. إذ عليها، تحديداً، أن تقدم للبراغماتيين في طهران فرصة لإستئناف العلاقات الديبلوماسية والإقتصادية. وهكذا، فإنّ البراغماتيين، متسلحين بفرصة قيام علاقة جديدة مع الولايات المتّحدة، سيكونوا في موقف يمكّنهم من تحييد الراديكاليين في طهران ومحاولة قلب توازن القوى لصالحهم. فكلما كان إعتراف واشنطن أسرع بهذه الحقائق لتطبيع علاقاتها أخيراً مع عدوها الشرق أوسطي الأكثر مقاومة لها، كلما كان الأمر أفضل.

لا خيارات جديدة

عندما يناقش موضوع إيران، فإنّ الرئيس جورج بوش يصر عادة على أنّ "كل الخيارات موجودة على الطاولة"- تذكير غير مهم كثيراً بأنّ واشنطن قد تستخدم القوة ضد طهران إذا ما فشلت كل الطرق الأخرى. وهذا التهديد يغفل حقيقة أنّ الولايات المتّحدة لا تملك خياراً عسكرياً واقعياً ضد إيران. فلحماية مرافقها النووية من ضربات أميركية محتملة، عملت إيران على نشرها في كل البلاد ووضعها في أماكن عميقة تحت الأرض. وبذلك، فإنّ أية هجمات أميركية سيكون عليها أن تتغلب على التحديات ذات الصلة بالمعلومات الإستخبارية (كيفية العثور على المواقع)، والتحديات اللوجستية الشائكة (كيفية ضربها). (فبحسب ما أظهرت كارثة العراق، فإنّ الإستخبارات الأميركية ليست دوماً شيئاً يمكن الإعتماد عليه كما يجب). فحتى ضربة عسكرية ناجحة لن تنهي طموح الملالي النووي؛ فهذه الضربة ستعمل فقط على تحفيزهم لإعادة إنشاء المواقع المدمرة والقيام بذلك بدرجة إحترام أقل لإلتزامات إيران في معاهدة الحد من الإنتشار.

ماذا عن عقد حوار مشروط، كالذي إقترحته وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس؟

في أيار 2006، بدا أنّ رايس قامت بإتخاذ خطوة كبرى الى الأمام عندما أعلنت بأنّ الولايات المتّحدة قد تكون مستعدة للمشاركة في محادثات متعددة مع إيران بشأن المسألة النووية إذا ما علقت إيران أنشطة تخصيب اليورانيوم. إلا أنّ التصريح لا يعبّر حقيقة عن النزاع بين الولايات المتّحدة وإيران ويصورها كمشكلة بسيطة حول إلقاء السلاح . أما في الواقع، فإنّ الإختلافات السياسية والإستراتيجية بين البلدين هي أعمق بكثير، وتتطلب مقاربة أكثر شمولية.

ومع هذه الوقائع غير المستساغة، كان كثير من صناع السياسة الأميركيون قد بدؤوا ينجذبون نحو ما يرونه الخيار الأقل قابلية للإعتراض عليه: الإحتواء. أما أملهم، فهو أنّ التطبيق المنظم للضغط الديبلوماسي والعقوبات الإقتصادية سيؤدي الى مقاومة خطط طهران الشريرة والخبيثة على المدى القصير، ليؤدي ذلك في النهاية الى حكومة إيرانية أكثر ديمقراطية وأكثر إنصياعاً لمصالح الولايات المتّحدة.

إنّ الفكرة بشأن إحتواء إيران ليست جديدة. فبشكل أو بآخر، كانت هذه هي سياسة الولايات المتّحدة الواقعية من بداية نشوء الجمهورية الإسلامية، وتمتعت بدعم ثنائي من الحزبين (الجمهوري والديمقراطي) في واشنطن. ولكي يتم دعم هذه الفكرة اليوم بصدق، فإنّ على المرء أن يرد على تساؤلات هامة: هل بالإمكان إحتواء دولة تنشر نفوذها من خلال وسائل غير مباشرة، كدعم الإرهاب، تمويل البدائل والإرتباط بأحزاب شيعية خارجية؟ هل ستكون دول أخرى في المنطقة مستعدة لمساعدة الولايات المتّحدة على عزل إيران؟

إذا كانت واشنطن ستدرس بدائلها بطريقة منطقية، فإنها ستدرك بسرعة بأنّ الجواب على هذه التساؤلات هو "كلا". إلا أنّ السياسة الأميركية كانت محكومة، ولوقت طويل، بشك غريزي عميق. فخلال الأيام الأولى التي أعقبت ثورة 1979، ظهر غضب وهوس إيران الإسلامي مذهلاً ومكلفاً بشكل خطير. فالنخبة الدينية الحاكمة إعتبرت حدود إيران بمثابة مخلفات ماضٍ مشوّه، وبدت هذه النخبة ملتزمة بمبدأ تصدير الثورة. وعلى كل حال، فقد أثبت النظام الإقليمي أنه أكثر متانة مما توقع الملاليون، كما أنّ معظم أحلام إيران الثورية ماتت في ساحات معارك العراق في الثمانينات. فالحرب المكلفة مع بغداد أجبرت النخبة الدينية على الإعتراف بحدود قوة إيران وأوهام طموحاتها (التي لا يمكن تطبيقها)، لكن لا يزال المفهوم بأنّ إيران قوة مزعزعة للإستقرار متجمداً في الخيال الأميركي ومستمراً منذ ذلك الحين، رغم أنّ إيران توقفت عن كونها دولة ثورية منذ زمن طويل وأصبحت الآن قوة متوسطة الحجم تسعى الى تفرد إقليمي ملحوظ.

وبمعنى آخر، فإنّ فكرة الإحتواء لم تعد مناسبة منذ فترة، لأنّ إيران توقفت عن كونها دولة ثورية ملتزمة، وبشدة، بتصدير نموذج حكومتها. وفي الواقع، لم تنجح فكرة الإحتواء مطلقاً- كما أنها لديها فرصة أقل للنجاح في المستقبل. ففشلها كان موثقاً جيداً في التقاريرالإدارة السنوية، التي تذكر بالتفصيل دعم إيران الجاري للإرهاب وتحذر من تطوير برنامجها النووي. كما أنّ العقوبات وأشكال أخرى من الضغط الأميركي قد فشلت بوقف السلوك الإيراني السيئ. والأسوأ من ذلك، إتخاذ إدارة بوش، مؤخراً، خطوات تجعل سياسة الإحتواء أقل فاعلية. فمشورة غزو العراق السقيمة أفادت إيران بتعزيزها الأحزاب الشيعية الداخلية المتعاطفة مع إيران.

لقد ولى الزمن الذي كان يهيمن فيه السنة الأقوياء على العراق ويعملون كقوة موازنة للقوة الشيعية في إيران. فشيعة العراق بالكاد يكونوا منسجمين ومتجانسين، إلا أنّ الأحزاب الشيعية القيادية الموجودة في السلطة في بغداد- حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق- لها علاقات وروابط صريحة وعلنية مع طهران. ولا يعني ذلك بأنّ قادة العراق الجدد مستعدين لإخضاع مصالحهم لصالح المصالح الإيرانية، لكن من المستبعد أن يواجهوا الجمهورية الإسلامية لمصلحة واشنطن. كما ليس هناك أي بلد آخر في الشرق الأوسط سيقف بوجه إيران اليوم على الأرجح. فالتقليد الطويل المتبع بشراء الأمن من الإمبراطورية البريطانية ومن ثم من الولايات المتّحدة،تاريخياً، أعطت المشايخ العرب في الخليج

الفارسي، درجة من الإستقلال إزاء جارتهم الفارسية القوية. إلا أنّ سلوك إدارة بوش المتهور والعنيف وعجزها عن إحلال السلام في العراق حطم الثقة الداخلية بقدرات الولايات المتّحدة. كما أنّ الشعور المنتشر بمعاداة الأمركة جعل الأمور أصعب على حكومات المنطقة لجهة التعاون مع واشنطن والسماح للقوات الأميركية بالتواجد على أراضيها. فقد تكون الولايات المتّحدة قادرة على إبقاء قواتها البحرية في المياه، وكذلك قواعدها المتواضعة في دول يمكن الإعتماد عليها كالكويت، لكنها من المستبعد أن يكون لها وجود هام في المنطقة بسبب كونها غير محبوبة جداً من قبل شعوب المنطقة، ولأنها تبدو شاذة ومتلونة جداً بالنسبة لنخب تلك المنطقة.

فكثير من دول الخليج الفارسي لها ثقة بدوافع إيران الآن أكثر من الخطط الأميركية المزعزعة للإستقرار. وبذلك، تتزايد قوة إيران، ومن المرجح أن يختار مشايخ دول الخليج التكيف مع إيران بدلاً من مواجهتها.

كم أنّ المجتمع الدولي يبدو مختلفاً، نسبياً، بشأن أنشطة إيران. فعلى مدى العام الماضي، سجلت إدارة بوش عدداً من النقاط الإجرائية التشريعية ضد طهران: على سبيل المثال، وعند إصرار واشنطن، قام مجلس الأمن الدولي بإنتقاد إيران وألح عليها تعليق برنامجها النووي. وعلى كل حال، وبرغم هذه النجاحات الرمزية ، فإنّ قلة من القوى العظمى تدعم الآن فرض عقوبات مُجهدة على الجمهورية الإسلامية. وليس ذلك لأنّ الفرنسيين جبناء أو أنّ الروس لا مبادئ لهم، وإنما لأنّ حلفاء واشنطن لا يوافقونها الرأي بأنّ إيران تشكل تهديداً رئيسياً وملحاً. فبالنسبة لهم، تشكل طموحات إيران النووية وحتى ميلها للإرهاب، تحديان مقلقان لكنهما قابلان للمعالجة. فخلال الفترة الأولى من الحرب الباردة، كانت الولايات المتّحدة قادرة على جمع الدعم وتكديسه لأجل إحتواء الإتحاد السوفياتي، لأنّ معظم شركائها الأوروبيين كانوا قلقين بشأن السوفيات كالأميركيين تماماً. أما الحال فليس كذلك اليوم مع إيران. وبإستثناء إسرئيل، فإن قلة من أصدقاء الولايات المتّحدة يبدون قلقين جداً بشأن طهران.

علاقة للذكرى

لتطوير سياسة إيرانية أذكى، يجب على القادة الأميركيون أن يتقبلوا، أولاً،حقائق كريهة معيّنة- كالهيمنة الإيرانية كقوة إقليمية وكذلك صمود نظامها- ومن ثم طرح السؤال عن كيفية التكيف مع هذه الحقائق. وبرغم خطابها المثير ومزاعمها المتوهجة والمبهرجة، فإنّ الجمهورية الإسلامية ليست ألمانيا النازية. إنها قوة إنتهازية تسعى الى تأكيد هيمنتها في المنطقة المجاورة المتاخمة لها من دون اللجوء الى الحرب. ومع الإقرار بأنّ إيران قوة صاعدة، على الولايات المتّحدة القيام بفتح محادثات معها برؤية تتعلق بخلق إطار عمل لتنظيم النفوذ الإيراني وإظهار إستعدادها للتعايش مع إيران، في حين تعمل على الحد من تجاوزاتها. وبمعنى آخر، على واشنطن أن تعتنق سياسة إنفراج تجاه إيران.

وقد تبدوهذه الدعوة مستبعدة، إلا أن الولايات المتّحدة لها بالفعل تجربة بالتعامل مع قوى عنيدة وصبعة المراس ظاهرياً. ففي أواخر الستينات، كان الوجود الأميركي في آسيا سقيماً. فالصين كانت قد بدأت بعرض عضلاتها في البلدان المجاورة لها. ولم ينكر الرئيس ريتشارد نيكسون وهنري كيسينجر، مستشاره للأمن القومي، حقيقة القوة الصينية، وبدءا بإجراء محادثات مع بكين وسرعان ما فازت الولايات المتحدة بمساعدة الصين في إنهاء حرب فييتنام وفرض الإستقرار في شرق آسيا. وبشكل مشابه، نجحت سياسة الإنفراج التي إتبعتها إدارة نيكسون تجاه الإتحاد السوفياتي، ليس فقط في درء صراع مع موسكو، وإنما أيضاً بكسب تعاونها حول قضايا التسلح والسيطرة الشديدة الأهمية.

ومن غير الواضح تماماً ما إذا كانت إيران مستعدة لأن تكون شريكاً مفاوضاً كما كانت الصين والإتحاد السوفياتي ذات مرة، لكن هناك سبب لكي نأمل بذلك. فالتطورات الأخيرة في الشرق الأوسط والتشنجات الداخلية في إيران وضعت إيران عند مفصل حاسم: بزوغ إيران كأقوى دولة في الخليج الفارسي يعني أنّ طهران قد تستبدل، أخيراً، علاقاتها المتسمة بالإنتقام والأذى؛ عليها التحرك بإتجاه التعايش أو المواجهة مع الولايات المتّحدة.

فخلال كل المحاولات السابقة بالتفاوض مع واشنطن، كانت الحكومة الإيرانية تفضل إجراء محادثات شاملة على إجراء مناقشات حول قضية منفردة ما. وفي رد أخير على عرض مشترك للولايات المتّحدة والإتحاد الأوروبي في الصيف الماضي، شددت إيران على إستعدادها "التعاون طويل الأمد في مجالات الإقتصاد، الأمن، السياسة والطاقة، لتحقيق أمن مستديم في المنطقة وكذلك تحقيق أمن طاقة على المدى الطويل". كما أنها إحتجت بأنه لأجل "حل القضية الحالية بأسلوب مستديم، فلن يكون هناك بديل عن الإعتراف بالأسباب والجذور المحددة التي قادت الجانبين الى الموقف المعقد الحالي وإزالتها".

ولتجاوز هذا "الموقف المعقد" وجعله من الماضي، فإنّ ذلك قد يتطلب من واشنطن الإهتمام بشكل أكبر وعن كثب بالتحولات الأخيرة في طهران. فحاجة إيران لسياسة خارجية، يتم تبنيها بشكل أفضل، تجاه التحولات في الشرق الأوسط،

الإنقسام الحاصل في النظام والمتواصل، والأهم ربما، ظهور جيل جديد من القادة في طهران، أدى إلى إشعال جدل داخلي هام في داخل النظام. فإذا ما لعبت الولايات المتّحدة أوراقها جيداً، فإنها قد تصبح حكماً هاماً في تلك المداولات والمشاورات الجارية.

ويتجه الغربيون إلى إعتبار سياسات إيران المحلية بمثابة تنافس بين المتشددين والبراغماتيين. فمناورات الرئيس الأسبق، هاشمي رفسنجاني، والقائد الأعلى علي خامنئي الخادعة الى جانب التمدد والإنحسار الدوري للحركة الإصلاحية، لطالما إستحوذت على تفكير الأجانب الذين كانوا يلحون بأن تتحول السياسة الإيرانية نحو الدمقرطة. إلا أنّ هؤلاء المراقبين فشلوا بإدراك أنّ نموذج الليبراليين مقابل المحافظين لم يعد موجوداً. فالنظام الإيراني هو في عملية تحول ذاتي، تحت تأثير جماعة المحافظين الشباب الصاعدين. فكبار رجال الثورة لا يزالون يحتفظون بالسلطة النهائية، لكنهم يتفاعلون أكثر فأكثر مع مبادرات يطلقها أتباعهم الأكثر حزماً. ولم يعد هناك تصدع كبير يفصل بين اليمين واليسار؛ فالإنقسامات اليوم تدور بين الكبار والشباب، وبين شباب اليمين الجديد.

وعلى خلاف أسلافهم خلال الثمانينات، فقد تراجع هؤلاء القادة الجدد- حتى محمود أحمدي نجاد، الرئيس الإيراني الإستفزازي- عن إنتقاد الحكومات الملكية في الخليج الفارسي والأنظمة الموالية للغرب في مصر والأردن، والتآمر عليها الإطاحة بها؛ فهم أكثر إهتماماً الآن بعلاقات الدولة الخارجية من إهتمامهم بتركيبتهم الداخلية، كما تراجعوا عن فكرة تصدير الثورة الإيرانية الى الأرض العراقية الخصبة. فمع إستشعارهم معارضة كبار رجال الدين والسياسيين الشيعة لمحاولات كهذه، فضّل المسؤولون الإيرانيون التركيز على هواجس عملانية أكثر. ورغم أنهم يريدون جاراً متعاطفاً ومتكيفاً معهم، فليس لديهم تصورات وهمية بشأن خضوع العراقيين الشيعة لأوامر طهران. كما أن الإيرانيين مستمرون بدعم الأحزاب الشيعية في العراق، ليس بسبب رغبتهم بزرع دمية إيرانية لهم هناك أو بديل، وإنما بأمل منع نشوء نظام سني آخر معادٍ لهم.

ولا يعني هذا القول بأنّ اليمين الجديد لا يسعى الى تحولات مهمة في العلاقات الدولية لإيران، لكن الجدل الذي يستحوذ على إيران اليوم يتركّز حول كيف يمكن للنظام أن يقوي ويرسخ نطاق نفوذه ويستغل على أفضل وجه وضعه كبلد مهيمن إقليمي صاعد. إنّ تنحية الطالبان في أفغانستان وصدام حسين في العراق، وكذلك التورط الأميركي في شرك العراق، أدت كلها الى ردات فعل غير ناضجة في إيران لجهة فهم فرص هيمنة بلادهم النادرة. فإيران ترى نفسها اليوم بمثابة دولة أساسية وضرورية في الشرق الأوسط.

وضعنا المقسم

على كل حال، وكما هي العادة لأي فئة قيادية في السياسة الإيرانية، فإنّ اليمين الجديد، نفسه، منقسم. وإحدى القضايا التي تقسمه هي ما إذا كانت مصلحة إيران العليا بالتعايش مع الولايات المتّحدة أم بتحديها. فعلى إحدى طرفي الطيف السياسي هناك الراديكاليين، وأبرز عناصر هؤلاء هو الرئيس أحمدي نجاد، لكن هذا الطيف يتضمن أيضاً أفراداً في مناصب حكومية شديدة الأهمية، مثل مرتضى رضائي قائد الحرس الثوري الإيراني، ومجتبى هاشمي سامرائي نائب وزير الداخلية. فبإستمدادها القوة من الحرس الثوري (تحديداً من أجهزتها الإستخبارية)، فإنه ليس بالإمكان تجاهل قوة الراديكاليين كقوة باسيجي شبه العسكرية، ومجموعات أخرى كتحالف مطوري إيران الإسلامية ورابطة المهندسين الإسلامية.

ورغم أنّ عدداً من أفراد رجال الدين الكبار يتجاهلون ذرائع ومزاعم أحمدي نجاد الدينية، فقد فاز بدعم شريحة ضيقة من الصف الديني، خاصة المتزمت الرئيس لها: آية الله محمد تقي مصباح يزدي، وهو مرشد روحي لعدد من المتزمتين الشباب.

إنّ التجربة السياسية المكوّنة لكثير من هؤلاء الراديكاليين لم تكن ثورة 1979، وإنما كانت الحرب ضد العراق في الثمانينات التي جعلتهم يزدرون الولايات المتّحدة والمجتمع الدولي، بالإضافة الى إنشغالهم بفكرة الإعتماد على الذات. وبحسب هؤلاء الأشخاص المتمرسين، فإنّ الحرب أظهرت بأنّ مصالح إيران لا يمكن حمايتها بالإلتزام بالمعاهدات الدولية أو بإجتذاب الرأي العام الغربي. فأحمدي نجاد وحلفائه، تحديداً، يعتبرون الولايات المتّحدة بمثابة "الشيطان الأكبر" ومصدر التلوث الثقافي والقوة الرأسمالية الجشعة التي تستغل موارد الثروات الأساسية. فمن وجهة نظرهم، فإن الولايات المتّحدة هي التي تسببت بكل محن إيران، بدءاً من نظام الشاه الى غزو العراق لبلادهم في ظل حكم صدام حسين. لكنهم يعتبرون أيضاً الولايات المتّحدة قوة منحدرة وزائلة، إذ قال الجنرال حسين سلامي، وهو قائد في الحرس الثوري، في آذار 2006: "لقد قيّمنا القوة المتناهية للغطرسة العالمية، وعلى هذا الأساس لا يوجد ما يوجب القلق".

وبالرغم من قناعاته الدينية العميقة، فإنّ أحمدي نجاد ليس مخلصاً يسعى الى قيادة نظام عالمي جديد؛ فهو مخادع بارع يحاول إيقاظ النقمة والغضب الشعبي في جوار يعاني من الإختلال والفوضى. فهو يدرك بأنّ المجازر في العراق وعملية

السلام الإسرائيلية- الفلسطينية المتوقفة وعجز الحكام العرب عن الوقوف بوجه واشنطن، قد خلقت كلها حالة من المعاداة الشديدة للأمركة في كل منطقة الشرق الأوسط، وبأن هناك تعطش شعبي متزايد لقائد مستعد للوقوف بوجه إسرائيل والولايات المتّحدة. كما أنه يريد، وبشدة، أن يكون هو ذاك القائد. وللوصول الى تلك النتيجة، قام أحمدي نجاد بإستخدام خطاب مثير للجدل حول الهولوكست وإسرائيل، كما أنه يدعم حزب الله ويظهر أمام السواد الأعظم من المسلمين بأنه يتجاوز الإنقسامات الطائفية، محولاً بلده الفارسي الشيعي الى معرض إعجاب، حتى بالنسبة للسنة العرب.

وبشكل مفهوم أيضاً، يعتبر أحمدي نجاد وحلفاءه مسألة إكتساب الأسلحة النووية مسألة حساسة وشديدة الأهمية لتقوية وتوحيد موقف إيران، ومساعدتها على الإفلات من النفوذ الأميركي في المنطقة- وهي مكافأة تستحق المعاناة من ألم العقوبات لتحقيقها. وكان آية الله مصباح يزدي قد صرح بأنّ تلك المهمة هي "إختبار إلهي كبير". كما أنّ صحيفة كاهان، الناطقة بإسم اليمين المتطرف، إحتجّت قائلة بأنّ "المعرفة والقدرة على صنع أسلحة نووية ضروريتان للتحضير للمرحلة المقبلة من المعركة في المستقبل. ومع عدم وثوقهم بواشنطن، يفترض المتشددون بأنّ الإعتراضات الأميركية على طموحاتهم النووية لا علاقة لها كثيراً بالحد من الإنتشار النووي إنما لها علاقة بإستغلال القضية لتجنيد دعم حلفاء الولايات المتّحدة ضد إيران. وكما فسّر الأمر أحمدي نجاد قائلاً: "إذا ما تم حل هذه المشكلة، فإنّ الأميركيين سيرفعون عندها قضية حقوق الإنسان، وإذا ما تم حل قضية حقوق الإنسان، فإنهم قد يرفعون بعدها قضية حقوق الحيوان".

فتصرفات أحمدي نجاد الغريبة والمضحكة نجحت بتحويله الى شيء يشد الإهتمام الدولي على مدى العامين الماضيَين، ما جعل من السهل على المراقبين الخارجيين تتبع ظهور معسكر هام آخر داخل اليمين الإيراني الجديد. فهذه المجموعة تتجه، وكذلك المحافظون، الى التشديد على القومية الإيرانية على حساب الهوية الإسلامية، والبراغماتية على حساب الإيديولوجية. ومن بين قادة المجموعة، هناك علي لاريجاني، رئيس مجلس الأمن القومي الأعلى؛ عباس محتج، قائد البحرية الإيرانية؛ وعزت الله زرغمي، رئيس محطات الإذاعة والتلفزيون الإيرانية- فجميع القوميين، كالراديكاليين،كانوا قد تشكلوا بسبب الحرب العراقية الإيرانية، إلا أنهم إستمدوا منها نتائج مختلفة.

فخلال التسعينات، عندما إستولى الإصلاحيون، أنفسهم، على كثير من مؤسسات الدولة الإيرانية ، تراجع المحافظون وعادوا الى مراكز الأبحاث، وتحديداً الى جامعة الإمام الحسين، لإعادة تقييم علاقات إيران الدولية. ومن خلال الحكم على كتاباتهم وخطبهم، يبدو أنهم توصلوا الى إستنتاج بأنّ نهاية الحرب الباردة وموقع إيران الجغرافي الفريد جعلها قوة إقليمية طبيعية، وبأنّ تجاوزات إيران الإيديولوجية ومقاربتها المعادية وغير الضرورية للغرب قد أعاقت تقدمها. وبأن الطريقة الوحيدة لإيران لكي تتحقق من إمكانياتها، بحسب ما إحتج هؤلاء، كان بأن تتصرف بشكل أكثر حكمة، وكان ذلك يعني الحد من بعض التعبير عن نفوذها، التسليم بمفاهيم دولية معينة، والتفاوض حول إندماج وتراص متبادل ومقبول مع خصومها.

وفي السنتين الأخيرتين، تصاعد النفوذ المؤثر لبعض أعضاء هذه الفئة البراغماتية داخل مجلس الأمن القومي الأعلى، دوائر المخابرات والجيش، بإستخدام علاقاتهم مع شبكات دينية تقليدية وإرتباطاتهم الصريحة مع القائد الأعلى. فالأهمية الحقيقية لإنتخابات إيران البلدية في كانون الأول 2006، والتي سجل فيها معسكر أحمدي نجاد نتائج مخيبة للآمال،هي أنها لا تطرح آمالاً كبرى بخصوص إحياء الحركة الإصلاحية،إذ أنّ عدداً من المحافظين الشباب القلقين من سياسات أحمدي نجاد قد أبلوا بلاءً حسناً بهذه الإنتخابات.

فلا شيء يقسّم جماعتَي اليمين الجديد أكثر من موقفهما تجاه الولايات المتّحدة. فالبراغماتيون يحتجون بأنّ الهيمنة الإيرانية لا يمكن ضمانتها من دون علاقة أكثر منطقية مع واشنطن. وفي مقابلة في أواخر عام 2005، قال لاريجاني: "قد نكون واثقين بأنّ الأميركيين هم أعداؤنا، لكن العمل مع العدو هو جزء من العمل في السياسة"، ثم أضاف: "إنّ إستراتيجية كبح وتخفيض النزاعات وتطبيع العلاقات هي بحد ذاتها مفيدة على المدى الطويل". وكالصقور،يحتج لاريجاني وحلفاءه بأنّ الوجود الأميركي في الشرق الأوسط في طريقه الى الزوال، لكن وعلى خلاف الصقور، هم قلقون من أنّ الولايات المتّحدة لا تزال قادرة على إعاقة إنبعاث طهران كقوة إقليمية. فمن وجهة نظرهم، يعتبرون أن تلطيف العلاقات مع الولايات المتّحدة قد يمهد الطريق أمام إيران لزيادة نفوذها في المنطقة.

ويتفق المعتدلون مع الراديكاليين بأنه لتعزيز نفوذ إيران، فإنّ طهران بحاجة الى حيازة قدرة السلاح النووي. وكما أشار نائب رئيس مجلس الأمن القومي الأعلى، علي حسينيتاش: "البرنامج النووي فرصة لنا للقيام بمساعي لإكتساب موقع إستراتيجي وتعزيز هويتنا الوطنية". إلا أنّ المعتدلين يؤمنون أيضاً بضبط النفس، فهم يؤيدون الإلتزام المستمر بالتعهدات الإيرانية بخصوص معاهدة الحد من الإنتشار النووي ويشددون على أهمية تقديم إجراءات بناء الثقة للمجتمع الدولي. فهم يأملون، عن طريق تحسين علاقات طهران بواشنطن، بأن يتمكنوا من تخفيف الهواجس الأميركية بشأن التطور النووي لإيران، من دون التخلي عن البرنامج.

أما الشخص المتأرجح بشأن هذا الجدل، فهو القائد الأعلى المتردد، الذي لحد الآن كان قد دعم مبدئياً مسار البرغماتيين بشأن المفاوضات مع الولايات المتّحدة. فمن جهة، يبدو أنّ الخامنئي- المشكك الإيديولوجي المتصلب إزاء الولايات المتّحدة- يؤيد تنديدات أحمدي نجاد النارية بالغرب وكذلك أسلمته المتشددة. فالخامنئي لديه سلطات دينية قليلة- إفتقاره للمعرفة والإطلاع الواسع يعيقه ويضعه في منزلة دينية تسلسلية مضرة به؛ إذ من الصعب عليه كبح أحمدي نجاد المصمم على سلوكه.

ومن جهة أخرى، فإنّ علاقة الخامنئي مع المتشددين كانت دوماً مربكة بسبب تشككهم بقراراته خلال أوقات الأزمة. ولأجل إستمرارية وصمود سياسات الجمهورية الإسلامية الخطيرة والقادرة، عمل الخامنئي على توازن الفئات المختلفة من دون تفويض أوتقوية أي منها.

وحتى الآن، إستطاع البراغماتيون إزعاج الخامنئي بإلحاحهم عليه قبول المفاوضات المحتملة مع الولايات المتّحدة حول قضايا الهواجس المشتركة، إلا أنّ المشهد السياسي يتغير بسرعة. إنّ إنحدار حظوظ الولايات المتّحدة في العراق، وإنتصار حزب الله الممدوح ضد إسرائيل في الصيف الماضي، ونجاح ديبلوماسية أحمدي نجاد النووية المتحدية، كلها أمور تثبت صحتها بالنسبة لأولئك الذين يدعون للمواجهة. فالقائد الأعلى الميال عموماً الى عدم الحسم، يبدو الآن ميالاً لتسوية الجدل الداخلي في طهران بطريقة قاطعة.